المحاضرة السادسة: 6- الفلسفة الوجودية و المأساة الإنسانية

لا شك أن الأفكار الأساسية و المشكلات الكبرى التي دارت حولها الفلسفة الوجودية نبتت في وسط من التأزم العميق و المآسي الشديدة التي عاشها الإنسان بكل مشاعره ووجدانه، كونه يوجد في عالم يحيط به الهمّ من كل جانب. عالم يعجّ بالمفاجئات و المحن، وعالم منغلق، مما جعل الإنسان يرنو إلى الثورة على هذا الوضع ليؤكد قدرته من جديد على مقاومة العدم. فالحديث عن مشكلات كالخوف و القلق و العدم ليست وليدة العبث بل هي نتيجة وضع نفسي واجتماعي معين تطلّب النظر و التأمّل، "ولذلك يكون فهم الماضي أشدّ عمقا كلما كانت النظرة إلى الماضي أشدّ شمول". فالاختلاف بين الفلسفة الوجودية و الفلسفة القديمة هو أن الإنسان في الأولى موضوع تجربة بينما في الثانية موضوع علم. ومن ثم كانت التجربة العينية الحية هي نقطة بداية الفلسفة الوجودية. و هنا يحق لنا القول أن الفلسفة الوجودية تمثل كل مجهود يبذله الإنسان ليجعل من الإنسان محورا له، في مقابل التفكير المجرد الذي يسير وفق مبادئ العقل و المنطق. معنى هذا أن أهم خاصية تتميز بها الفلسفة الوجودية هو أنها تبدأ من الإنسان لا من الطبيعة. إنها فلسفة الذات أكثر منها فلسفة للموضوع.لكنه يجدر بنا التنبيه إلى أن الذات التي يقصدها الوجوديون هي الذات الفاعلة و ليست الذات المفكرة على نحو ما درج عليه الفكر العقلاني منذ "ديكارت". هي الذات التي تكون مركزا للشعور، ومن هنا نلاحظ اتفاقا كبيرا بين الفلسفات الوجودية سواء من ناحية الموضوع أو من ناحية المنهج. فالوجود الإنساني العميق هو الموضوع، و التجربة المباشرة تمثل المنهج. وعلى ذلك كانت الوجودية مذهبا إنسانيا، "أي أنها تهتم اهتماما بالغا بالقيم الإنسانية و الشخصية".

ورغم أن الوجودية تهتم بمشاكل الإنسان المتعلقة بمعنى الحياة و مشكلة الموت و الألم و القلق و غيرها، ورغم أن هذه المشاكل تقليدية تناولها فلاسفة كبار من أمثال"القديس أوغسطين" و"باسكال" وغيرهما من الشعراء و الكتاب و النقاد إلا أنه يصعب القول أنهم فلاسفة وجوديون، ذلك أن للوجودية خصائصها التي مكنت لها القدرة على وضع قيم جديدة عن طريق "التجربة" التي عاشها روادها. وقد لا نجانب الصواب إذا وافقنا "نتشه" لما قال:" أن الحياة هي التي تحملنا على وضع القيم". بل إن على الفلسفة من جهة و على عاتق الفيلسوف من جهة أخرى تقع مهمة الحفاظ على مصير الإنسانية، والتفكير فيه بكل نزاهة و جدية.

1-7 أصول الفلسفة الوجودية:

الحقيقة أن الوجودية تمثل أصدق تعبير عن حالة القلق الذي بسط أجنحته على العالم بأسره، وما ولّده من شعور حاد بعد الحرب العالمية الأولى و الثانية، فقد كان لهذين الحادثين أثر بالغ في زعزعة شعور الإنسانية، خاصة بعد التدمير الشامل الذي حدث وما أفرزه من تفكك في الروابط الأسرية و البشرية على نحو عام، وكذا الضيق النفسي الذي غشي كل فرد و ما أنتجه من توتر و قلق دائم. لقد كانت الحروب فيما مضى تحدث في مناطق معينة و محددة بحيث ينعم باقي الناس بالطمأنينة و الأمان، أما هنا فإن الحروب طالت جميع الشعوب ممّا ولّد إحساسا كبيرا و شاملا بمأساة عامة لا تقتصر على أمة دون أخرى، أو على فرد دون آخر،بل شملت جميع الأفراد. وهنا بدأت تتسع دائرة القلق التي عبّر عنها الفلاسفة بطرق مختلفة. وبمناقشة مشاكل مصيرية ترتبط بوجود الإنسان وحريته و مسؤوليته، وعلاقاته بغيره، وطبيعة الموقف الذي ينبغي للإنسان أن يتخذه بإزاء ما يعترضه من مخاطر. خاصة بعد استخدام القنابل الهيدروجينية وما يمكن أن تحدثه من دمار، "فلا غرابة إذن أن يكون تطور الإنسانية يسير في اتجاه الوجودية التي ستصبح و لأجيال طويلة أصدق تعبير عن هذه المرحلة". كما أن التقدم العلمي الذي حصل و ما أحدثه على مستوى الحياة الاجتماعية أثر بصورة مباشرة على ظهور الوجودية، حيث لاحظ الوجوديون أن الإنسان المعاصر يواجه خطر انتشار الطابع الآلي في المجتمعات، وهو ما يتهدّد حرية الإنسان من جهة، ووجوده من جهة أخرى. و بدأ الإنسان يفقد إنسانيته في ظل التنظيمات الاجتماعية المختلفة، وأصبح يُنظر إليه كعنصر من مجموعة معينة على حد تعبير أهل الرياضيات، ويؤدي وظيفة محددة، ومن ثم التقليل من فردية الإنسان و قدراته و خصائصه.

ثم إن انتشار بعض الفلسفات العقلية خاصة و التي أرادت ترسيخ فكرة"المطلق" كان له دور كبير في ظهور الوجودية، "لذلك يقدم" كيركغارد" أعنف هجوم ضد فلسفة "هيجل" ويعارض العقل إلى أقصى درجة". كما لا يمكن أن نجهل تأثير "ظواهرية هسرل" على الفلسفة الوجودية، حيث يلجأ أغلب فلاسفة الوجود مثل"هيدجر" و"مارسيل غابريال" و "سارتر" إلى استعمال "المنهج الفينومونولوجي"، رغم أنهم يخالفون "هسرل" في أهم القضايا الفلسفية.

ـ كما تأثرت الوجودية بفلسفة الحياة، لأنها فلسفة تحيا الوجود، ولا تقتصر على التفكير فيه. إنها لا تكتفي بالنظر المجرد إلى الحياة من الخارج بقدر ما تحياها من خلال التجارب الحية وما تعانيه من كل صراع مع الوجود في العالم و ما ينتج عن احتكاك الناس ببعضهم.

2-7 الصفات الأساسية المشتركة بين الفلاسفة الوجوديين:

ـ كل الفلسفات الوجودية تلتف حول "التجربة الحية" التي تسمى عادة "بالتجربة الوجودية"، و التي يتفاعل فيها الإنسان مع الوجود و الحياة من خلال تجربته الخاصة التي يصعب تعميمها على غيره. وكل إنسان مهندس ذاته، فإذا كان الفيلسوف المثالي يبدأ من الأفكار، فإن الفيلسوف الوجودي يبدأ بالفعل من ا[لأشياء ذاتها.

ـ التمرّد على الوضع القائم في جميع مجالاته الدينية و الأخلاقية و السياسية و الأدبية، والتصدي لكل الشرائع التقليدية التي يقبلها الناس دون نقاش، وجعل الإنسان المحكوم عليه بالحريةـ على حد تعبير سارترـ منوطا بحمل كل أعباء العالم. فهو مسؤول عن العالم وعن نفسه على حد سواء.

ـ يعتبر الوجوديون الإنسان"ذاتية" ذات دلالة إبداعية فالإنسان وحده من ينبغي دراسته، ووحده من يخلق ذاته بمطلق حريته. ولا يعني ذلك أنه منغلق على نفسه "فهو أوثق ارتباطا إلى العالم و على الأخص إلى البشر الآخرين". أي أن الإنسان لم يخلق دفعة واحدة يتحدد بطبيعته، بل إن "ماهيته" تتشكل من خلال اختياراته، وهذا معنى مقولة "أن الوجود يسبق الماهية". و بعبارة أكثر دقة نقول إن الإنسان يدرك العالم إدراكا أوّليا في خبراته واهتماماته المباشرة، و"من ثم يصبح العالم بهذا المعنى مكوّن لوجود الإنسان".بل إن مهمة الفيلسوف كما حددها "كيركغارد" هي أن يجد حقيقة خاصة به، من أجلها يحيا و يموت، "فلا غرو أن جاء إنتاجه الفلسفي تعبيرا عن قناعاته الخاصة".

ـ دارت كل مناقشات الوجوديين حول المشكلات الوجودية للإنسان مثل الموت، القلق، الخطيئة، المخاطرة،المعاناة، الحرية، المسؤولية وغيرها، وكان "كيركغارد" أبرز من وضع الأسس الأولى للوجودية لأنه جعل الإنسان مركز البحث.

3-7 كيركغارد:Soren Kierkegaard

يعد الرائد الأول للوجودية، ولد سنة 1813م في كوبنهاجن عاصمة" الدانيمارك"، وتوفي سنة 1855م. مؤلفاته خليط من الاعترافات العاطفية الشخصية والتأملات الفلسفية و المقالات الأدبية. وعلى ذلك يصعب تقديم أفكاره على نحو منظم يتخذ شكل مذهب فلسفي بالمعنى الدقيق، بل إن أفكاره تمثل ثورة على المذهب بشكل عام تماما كما فعل "نتشه".

لاحظ "كيركغارد" الفلسفة النظرية وقد بلغت أوجّ قوتها، واكتمل بنيانها مع "هيجل" الذي وصلت معه النزعة العقلية أعلى ذروتها، بعد أن وضع مذهبا فلسفيا شامخا تؤلفه مفاهيم وتصورات عقلية مجرّدة يقوم الديالكتيك بالربط بينها على نحو محكم. و تسوده الروح المطلقة التي لا تأبه لأي تحوّل في الزمان، ولا تحفل بالأفراد الذين يعتبرهم "هيجل" أدوات في يدها. وكان هيجل يعتقد اعتقادا راسخا بوجود عقل مطلق و بحقيقة لا توجد مستقلة عن العقل. وكانت ثورة "كيركغارد" عنيفة على هذه الفلسفة، رافضا بذلك فكرة المذهب أصلا. "فالفلسفة ليست أقوالا خيالية لموجودات خيالية، بل الخطاب موجّه إلى كائنات موجودة". لذا فإن الفلسفة أشد ما تكون التصاقا بالواقع، وتحديدا بالموجودات. وهو ما يفضي إلى البحث في الذات و الفرد. ومن ثم كانت فلسفة "كيركغارد" فلسفة حية مستمدة من حياته، لأنها تناولت موضوعات مثل الخطيئة و الحرية و الغواية و المصير و الروح و الحب و الحرية و القلق و الندم، وكلها مشكلات عانى منها صاحبنا. ولم يكن لخيالاته وافتراضاته دخل فيها.إنه لم يدرسها دراسة أكاديمية مثلما نفعل نحن اليوم، بل كان مجبرا على أن يتخذ بإزائها موقف محددا، وسلوكا واضحا. لقد كانت مسائل خطيرة في حياته، وكان لا بد أن يشق طريقه فيها بعيدا عن كليات"هيجل" المجردة التي تبتعد عن كل معنى واقعي فعلي.

يتخذ "كيركغارد" لنفسه موقفا معاديا لكل مذهب فلسفي، و يتساءل عن جدوى المذاهب الفلسفية التي تسعى إلى تفسير الواقع تفسيرا معقولا بإخضاعه لقواني المنطق. وهو ما جعله يعتبر فلسفة"سقراط" هي الفلسفة الوجودية الأولى، "لأنها تجعل من الإنسان ووجوده الحي مصدر إلهامها الأول". تحاول المذاهب الفلسفية تفسير الواقع عن طريق العقل و المنطق، وهذا محال لأن المنطق لا يحكمه الزمان، بينما الواقع زماني متحرك. وإذا كان المنطق خاضعا للضرورة بحيث ترتبط فيه النتائج بمقدماتها ارتباطا ضروريا فإن وجود الأفراد عابر وليس ضروريا. بل إن وجود

الأفراد الحقيقي الذي يجعل لكل منهم وجوده الخاص بعيد كل البعد عن المذاهب التي ليست سوى تركيب لمجموعة من التصورات التي تختلف تماما عن الواقع.

4-7 مراحل الحياة عند كيركغارد:

يعدّ كتاب "إما...أو"- غريب العنوان هذا- الذي كتبه فيلسوفنا سنة1843 أحد أهم كتبه الأساسية التي تبين نظرته إلى الحياة. وهو كتاب يقع في جزأين يحاول صاحبه فيه أن يوضح خصائص مراحل الحياة و الفروقات بينها. في الجزء الأول نجد الشخص الجمالي و يشار إليه بالحرف"أ" أما في الجزء الثاني فيحمل اسم القاضي"فلهلم" "الذي يوجه نقدا لاذعا ضد النظرة الجمالية للحياة". وهذه المراحل هي:

- **المدرج الحسي**: الحياة الجمالية أو الحسية تفتقر إلى الجدية، لأنها تعبّر عن نفسها في حياة الرجل الأعزب الذي يعيش حاضره فقط. وما يهمّه هو أن يستمتع بوقته بعيدا عن كل ما يمكن أن يسبب له الملل. "فهو يحيا ليحقق الإشباع المباشر لرغباته". و يعدّ "دوان جوان" النموذج المعبر عن هذه المرحلة. إنه رجل متقلب بين أحضان الشهوة، لا شغل له في الحياة إلا إغواء النساء دون أن يرتبط بهنّ، لأن أبغض شيء إلى نفسه هو الالتزام و التكرار. ينتقل من لذة إلى أخرى ومن نجاح إلى نجاح، مرحبا بكل متعة آتية، ومحتقرا لكل ألم متوقع. شعاره في ذلك" عش ليومك فقط"، إذ لا يعرف إلا الآن، ولا يعنيه الماضي و لا المستقبل،"ويحتقر الحياة العادية التقليدية احتقارا شديدا". لكنه و بالرغم من المتع و النجاحات التي يحققها إلا أنه لا يوجد بالمعنى الأصيل للوجود، لأنه يعيش حالة ملل يسودها المزاج السوداوي الذي يطغى على نفسه و يؤرقها. ولا نعنى بالملل تلك الحالة المقصودة الناتجة عن سبب محدد، وتتجه نحو موضوع معين كأن نملّ الكلام مع شخص معين، أو نملّ كثرة النوم، بل هو ملل ينعطف على الشخص ذاته، فيملّ من نفسه. حيث يقف الفرد على هاوية من الفراغ، ينعدم معها كل معنى للحياة."فالحياة الحسية تتبدّى إذن عن يأس وفي اليأس تعاني الذات ضياع الرجاء".

- **المدرج الأخلاقي**: هذه الحياة أكثر جدية لما يسودها من التزام و نظام، حيث يكرّس الإنسان كل جهده للقيام بواجباته. إنها على نحو معين تحقيق لفلسفة" كانط" الأخلاقية المتعلقة بالواجب. وعلى ذلك فإن هذا المدرج هو مدرج اتخاذ القرار و فعل الاختيار تقوية لما هو أخلاقي. "لأن الاختيار يحرر الذات من مباشرة اللذة ومن مباشرة التأمّل أو التفكير الخالص أيضا". و

يجعل اكتشاف الذات الحقة أمرا ممكنا. مع العلم أن صاحب الفكر العقلي حسب "كيركغارد" يعاني هو كذلك من ضياع الذات تماما مثل صاحب اللذات.فبينما يتيه الباحث عن اللذة في متعه و شهواته، ينشغل المفكر العقلي بإضاعة نفسه في فكره وخياله. فكلاهما إذن ينفر من كل التزام و مسؤولية، وكلاهما لا يعيش الوجود بمعناه الأصيل. ويركز "كيركغارد" كثيرا على "الاختيار" الذي يعدّ المدار الأساسي للمفكر الأخلاقي. لأن الاختيار يقتضي الحرية. وقد جاء على لسان القاضي"فلهلم" وهو يشرح للقارئ ذلك:«في سبيل الحرية إذن أناضل...أنا ضل في سبيل المستقبل، في سبيل إما/أو. ذلك هو الكنز الذي أودّ أن أهبه لِأولئك الذين أحبهم في الدنيا. ولو كان ولدي الصغير في السن التي يستطيع فيها أن يفهمني لقلت له: إني لا أترك لك ثروة ولا لقبا وجاها، لكني أعرف مخبأ الكنز الذي يكفي لجعلك أغنى من العالم بأسره، وهذا الكنز لك، ولن تشكر لي على هذا حتى مجرد شكر، كيلا تؤذي روحك، بكونك تدين بكل شيء لشخص آخر. وهذا الكنز مخبوء في داخل نفسك فهناك إما/أو يجعل الإنسان أعظم من الملائكة». وخلاصة ذلك أن تحقق هذا النمط يكون في الرجل المتزوج الذي يؤدي واجباته نحو أسرته و زوجته و أولاده، ويتحمّل مسؤولياته، و يحمل في ذاته ماضيه و يعيش حاضره و يتوقع مستقبله. في مقابل الرجل الحسي الذي يتجنب أي التزام طويل المدى.

ـ **المدرج الديني**: وتمثل هذه المرحلة أعلى أنواع الحياة، لأن الإنسان يوجد حقيقة، و يحيا حياة الحب و الزهد و الدعاء، لأنه يشعر بأنه وحيد لا أمل له إلا بالعودة إلى الذاتية العميقة. و التي فيها يعبد الله، "بل إن علاقته بالله هي أعمق شيء في حياته". إنه يشعر بأنه مذنب أمام الله، لذا يلجأ إلى التقرب منه بكل الوسائل، خاصة بالصلاة التي تجعله يركن إلى الصمت و الامتثال و الانصراف عن كل لذة و متعة في سبيل تحقيق السعادة الأبدية، عن طريق الارتباط بالمطلق. و يتخذ "كيركغارد" من قصة "إبراهيم" دليلا على عمق و قيمة هذه المرحلة. لقد أمر الله إبراهيم بذبح إبنه" إسماعيل" لكن هذا الأمر يتعارض مع الأخلاق، وليس مشروعا على الإطلاق من الناحية الأخلاقية، ومع ذلك فإن هناك مستوى أعلى نتجاوز فيه كل هذه الحدود وهو طاعة الله. ولهذا ما كان من "إبراهيم" إلا أن امتثل للأمر،وكان امتثاله وطاعته سببا في نجاة ابنه "إسماعيل". إن رجل الدين يعيش الأبدية بأكمل معانيها، بينما يعيش الجمالي لحظته الحاضرة. و يعيش الأخلاقي في الزمن. ولا يكون ذلك إلا بالإيمان المطلق أو الحق الذي يتحدد بإخلاص المرء في علاقته بالله. ليس على نحو ما تقول به المسيحية، بل على نحو ما يرنو إليه فيلسوفنا. لأن

"كيركغارد" يعتقد أن المسيحية تنبذ العالم ولذلك لم يتردد في مهاجمتها. إنها تدعو إلى شعارات تتجاهل طبيعة الإنسان مثل:"اهجر العالم"، "أنكر ذاتك"،" لا تكترث للعالم"، و الدعوة إلى كره الذات". و ما يبدو للعقل مستحيلا و غير معقول هو نفسه الحقيقة و الحياة في هذه المرحلة، لأن التشبث بالله ومحبته هو الذي يؤكد القوة التي بها نحصل على شيء كما فعل "إبراهيم" و "أيوب". ولن نخوض في مسألة علاقة هذه المراحل بحياته، لأن هناك من يؤكد أن هذه المراحل هي عينها التي عاشها "كيركغارد" في حياته. لكن الأهم أن فيلسوفنا أراد بناء فلسفة تنظر إلى الأشياء بمنظاره الخاص. و إلى المسيحية بالمعنى الذي أراده. و أن يتجاوز نظرة "هيجل" إلى الحقيقة.

ـالقلق عند كيركغارد:

يتولّد القلق من شعور الإنسان بحريته و مسؤوليته، وبأنه مذنب أمام الله. أي أنه يحمل على كتفيه عبء الخطيئة التي تجعله يشعر "بضياعه" في هذا العالم. وهذا الشعور يمثل بداية طريق الخلاص. وتحدث حالة القلق أثناء الفعل و الاختيار. حيث يكون الفرد معلقا بين مجموعة من الإمكانيات التي لا يتحقق بعضها إلا بنفي البعض الآخر. وهنا يرتبط الاختيار بـ"العدم". ومعنى هذا أن قدرة الإنسان تحقق وجودها بعد أن نمارس "الفعل". إنها تتجه نحو المستقبل و تسعى إلى تحديده، بل إلى "عدم" تضفي عليه صفة الوجود.

المحاضرة الثامنة: هيدجر: ولد سنة 1889م بمدينة مسكرشMesskirch الألمانية. درس الفلسفة تحت إشراف"هسرل"، و في سنة 1923م عين أستاذا للفلسفة في جامعة ماربورجMarburg .وألف كتابه الشهير" الوجود و الزمان" الذي أهداه لأستاذه"هسرل". و فيه أودع زبدة تفكيره الفلسفي.عُيّن سنة1928م أستاذا في "فرايبورج" خلف لـ"هسرل". أهم مؤلفاته:" الوجود و الزمان"،"ماالميتافيزيقا"؟، "كانط ومشكلة الميتافيزيقا"، "عن ماهية العقل"، "عن ماهية الحقيقة"، "ماالفلسفة"؟، "علم الظواهر و اللاهوت" .

الحقيقة أن فلسفة "هيدجر" كلها تدور حول موضوع الوجود. لذلك كان عليه أن يوضّح معناه. ومن ثم كانت محاولته تسعى لإقامة "أنطولوجيا جديدة" (أي علم الوجود) بدلا من الأنطولوجيا التقليدية." إنه يريد أن يقيم علما عاما للوجود". ويؤكد هيدجر أنه يجب البدء بوجود الإنسان لا وجود الأشياء و الأدوات، لأن هذا الموجود دون غيره من يتساءل عن وجوده. وهو من يجهد نفسه في البحث عن أجوبة مقنعة،"فالإنسان بالنسبة إلى تجربتنا هو الموجود الوحيد الذي

يستطيع أن يلقى موجودات أخرى، وان يوجّه إليها انتباهه، وأن يتصل بها، و بالنسبة إلى الإنسان وحده تكون هذه الموجودات مفتوحة، منكشفة، وهو وحده أيضا من يقدر على أن ينكشف لها، وهو الموضع الوحيد الذي فيه يظهر فهم الوجود، وفيه لا يتوقف عن الوجود". والإنسان في فلسفة "هيدجر" صانع لنفسه، وهذه إحدى أهم صفات الوجود الأصيل. أي قدرة الإنسان على أن يكون ذاته. والذاتية هنا هي "إمكانية محضة" قد يبلغها المرء و قد لا يبلغها. وهي لا تتحقق إلا بالحرية. لكنها ليست الحرية المطلقة التي يعمل الفرد بمقتضاها كل ما يريد، أو الحرية التي يحدها الميلاد و الموت، بل إن الحرية هي قدرة الإنسان على الانفتاح على العالم و سؤال الوجود. ويزداد انفتاح "الآنية" Dasein ـ بتعبير هيدجر ـ على العالم بواسطة القلق. كيف ذلك؟

القلق الذي يعنيه "هيدجر" ليس تلك العاطفة التي تنتاب الإنسان نتيجة أسباب معينة يمكن معرفتها، والإحاطة بها. و ليس القلق كما يفهمه القديس" أوغسطين" حيث يرتبط بالخطيئة. أي يشعر الإنسان بالقلق نتيجة ارتكابه ذنبا أو جرما في حق نفسه أو في حق الآخرين، إذ يصبح القلق حينها حالة عابرة تزول بزوال التفكير في الخطيئة. بل القلق عند هيدجر يكشف عن "العدم" مثلما يكشف عن "الوجود". وهو "سيد أحوال الوجود، فيه نشعر بالعدم الماثل في كل شيء. وعلى "الآنية" أن تنكر العدم حتى لا يعدمها العدم. ومن هنا كان الطابع الأساسي للوجود، وبذلك فقط يتحقق معنى الحياة". إن القلق بصورة أكثر دقة هو الذي يرغمنا على الاختيار بين الوجود "الحقيقي الأصيل" للآنية و الوجود "الزائف".إذ تعيش "الآنية" في الحياة اليومية حياة زائفة، تخضع فيها لإملاءات الناس، فيشعر الفرد و كأنه نسخة مثل الآخرين. و يصير العالم صورة مشوهة للواقع وهنا يغيب الشعور بالوجود الأصيل. حيث تتجرد "الآنية" من جميع "إمكانياتها". و يتحقق ما يسميه هيدجر" السقوط". وهي حالة الوجود المبتذل الزائف الذي لا قلق فيه. ولا يشعر فيه الإنسان بفرديته، بل إنه مجرد عضو في المجتمع يؤدي وظيفة معينة مثل غيره. و يخضع في سلوكه لعادات و تقاليد محيطه الإجتماعي. "وتتحصّن فيه الآنية وراء الكلام"، فينجذب إلى حب الثرثرة، وتصبح أقوال الناس الذين يعيشون من حوله معيارا بالنسبة إليه، و بتوْقه إلى كل جديد، ينغمس الإنسان في الحوادث اليومية بدافع الفضول وحب الإطلاع ، وما هذا سوى هروب من الذات. وهنا يمكن القول أن السقوط هو فرار الإنسان من ذاته، أو هو فرار من القلق الذي يتهدد حياته. ولا يعني ذلك أن الوجود الأصيل يحصل بعد تجاوز الوجود الزائف، فالإنسان يحيا دائما في تقاطع الزائف مع الأصيل، والهموم العظيمة التي يعيشها في حياته اليومية تخفي عنه همّه

الأساسي. وما يمثل له في العالم يجعله ينسى وجوده في العالم. كما لا يعني ذلك أيضا أنه ينبغي التخلص من حالة السقوط بالانعزال عن الآخرين، أو بهجرهم و الابتعاد عنهم، والكف عن الذوبان فيهم، إذ ليس ذلك متاحا في جميع الأحوال، لأن الآخر يدخل في تكوين ذاتنا شئنا أم أبينا، ولو لم نكن على دراية بذلك. بل يعني فقط أن وجودنا الأصيل يؤلفه الماضي و الحاضر و المستقبل. ومن ثم فإن الوجود الإنساني ليس شيئا آخر غير هذه "الزمانية". أي أنه هذا الزمان نفسه، فالوجود زماني بالدرجة الأولى، ولكل منا تاريخه الخاص الذي يصنعه بنفسه. "إن الإنسان ليس مجرد ذاتية محضة منعزلة و مغتربة، ففلسفة هيدجر تواصل متعدد الأوجه، تواصل بين الكائن والآخر، وبين زمانية الكائن وتاريخيته". ومختصر ما يريد هيدجر أن يصل إليه أن الوجود الإنساني مؤجل بطبعه، وأنه لن يصل مطلقا إلى الصورة التي يريدها، وهذه الإمكانيات التي لن تتحقق هي بالضرورة داخلة في تركيبه.

ولا يبتعد "سارتر" j. p .Sartre كثيرا عن هيدجر و الوجوديين عموما، فقد حاول تحطيم فكرة الضرورة التي تُفرض على الإنسان من الخارج. و أراد تأكيد أسبقية الوجود على الماهية. إنه ينكر أن يكون للفرد ماهية محددة و ثابتة. بل إن كل فرد يخلق ماهيته انطلاقا من أفعاله.إذ يوجد الإنسان أوّلا دون أن تتحدّد صفاته، ثم يُلقى بنفسه في المستقبل عن طريق ما يؤديه من أفعال. و معنى هذا أن الإنسان مجرد "مشروع". إنه من يُصمّم و يبني مستقبله، ولا يكون ذلك إلا عن طريق الحرية التي أخذت مجالا واسعا من أبحاث "سارتر". لكنها حرية تتبعها مسؤولية كبيرة. مسؤولية تمتد إلى الآخرين لتشملهم. فالقرار الذي يتخذه الإنسان يمسّ سائر الناس، إنه يختار لنفسه في الوقت الذي يختار فيه للناس جميعا. مثال ذلك أن اختياري لفعل الزواج أو لتأدية مهمة معينة يرتبط أساسا بالآخرين، وهو وما يجعلنا نشعر بقلق شديد. فالإنسان في فلسفة "سارتر" سيد مصيره، لا يوجد إلا بما يحققه من أفعال. إنه في النهاية هذه الأفعال، فما شخصية "بتهوفن" إلا ما أبدعة من مقطوعات موسيقية، و مؤلفات "شكسبير" هي التي تمثل شخصيته.

إن الحرية عند سارتر لا تقتصر على أفعالنا، بل تمتد إلى عواطفنا. و أبعد من ذلك تصبح الحرية وجودي ذاته. و أنا حر في جميع الحالات، في التعب و الغضب و الخوف و الجوع وغير ذلك. فالإنسان إذن يختار ولو اختار عدم الاختيار. وفي كتابه" الوجود و العدم" وهو أهم كتاب لسارتر و أصعب مؤلفاته يميز بين ضربين من الوجود: "الوجود في ذاته" وهو مجموع الواقع أو الوجود المباشر، أو الوجود غير الواعي مثل وجود الأشياء ووجود العالم ووجود الظاهرة. أما

الوجود الآخر فهو "الوجود لذاته" وهو الوعي أو الشعور. وليس له سبب أو تفسير في الوجود، إنه قُذف به في هذا العالم دون علمه، "فكل موجود يولد بلا سبب و يستطيل به العمر عن ضعف منه و يموت بمحض المصادفة".